

سِيرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَبُّ الْأُسْرَةِ، الْمُرْشِدُ الدِّينِي، الْقَائِدُ السِّيَاسِي وَالْعَسْكَرِي

La vie du Prophète ﷺ : chef de famille, guide religieux, leader politique et militaire

دُرُوسٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ

— Leçons pour l'humanité —

Dr KONE Moussa, Imam officiant à la mosquée Radjaha de la cité CNPS de Bouaké

Le 21-08-2026

الْخُطْبَةُ الْأُولَى الْمُقَدِّمَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِي سِيرَتِهِ وَسُنَّتِهِ أُسْوَةً لِمَنْ أَرَادَ الْفَلَاحَ وَالْهُدَى. نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ زَادُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الْإِصْلَاحِ، وَسَبِيلُ النِّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ،

إِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، تَبْحَثُ عَنْ نَمُودَجٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الْقِيمِ وَالْقُدْرَةِ، وَبَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْحَزْمِ، وَبَيْنَ الْعَدْلِ وَالْقُوَّةِ، وَبَيْنَ النِّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى الْمَبَادِي. وَمِنْ أَعْظَمِ النَّمَاذِجِ الَّتِي قَدَّمَهَا التَّارِيخُ لِلْبَشَرِيَّةِ نَمُودَجُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ. فَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَقَطْ نَبِيًّا يُبَلِّغُ رِسَالَةَ اللَّهِ، بَلْ كَانَ زَوْجًا وَأَبًا، وَمُرَبِّيًا وَمُعَلِّمًا، وَقَائِدًا دِينِيًّا، وَرَجُلَ دَوْلَةٍ، وَقَائِدًا لِمُجْتَمَعٍ، وَقَائِدًا عَسْكَرِيًّا عَرَفَ كَيْفَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْقُوَّةِ وَالْأَخْلَاقِ، وَبَيْنَ الْحَزْمِ وَالرَّحْمَةِ، وَبَيْنَ النَّصْرِ وَالْعَفْوِ.

وَلِهَذَا فَلَا نَدْرُسُ سِيرَتَهُ ﷺ لِنَعْرِفَ أَحْدَانًا مِنَ الْمَاضِي فَقَطْ، وَلَا لِنَرْوِيَ قِصَصًا تَارِيخِيَّةً فَقَطْ، بَلْ نَدْرُسُهَا لِنَسْأَلَ أَنْفُسَنَا: كَيْفَ كَانَ يُدِيرُ بَيْتَهُ؟ كَيْفَ كَانَ يُرَبِّي أَهْلَهُ؟ كَيْفَ كَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ؟ كَيْفَ كَانَ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ؟ كَيْفَ كَانَ يَتَعَامَلُ مَعَ الْمُخَالَفِينَ؟ كَيْفَ كَانَ يَفُودُ فِي أَوْقَاتِ السَّلَامِ وَفِي أَوْقَاتِ الْحَرْبِ؟ وَكَيْفَ كَانَ يَتَصَرَّفُ عِنْدَ الْإِنْتِصَارِ وَعِنْدَ الْإِبْتِلَاءِ؟ إِنَّ الْعِظَمَةَ فِي شَخْصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَتْ فِي كَوْنِهِ قَائِدًا عَلَى الْقِيَادَةِ فَقَطْ، بَلْ فِي أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ مَجَالَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى مَدْرَسَةٍ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْعَدْلِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ وَالرَّحْمَةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٢١].

فَهَذِهِ الْآيَةُ لَا تَدْعُونَا إِلَى مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْكَلَامِ فَقَطْ، بَلْ تَدْعُونَا إِلَى جَعْلِهِ قُدْوَةً فِي الْعِبَادَةِ، وَالْأُسْرَةِ، وَالتَّرْبِيَةِ، وَالْقِيَادَةِ، وَالْمُعَامَلَاتِ، وَفِي كُلِّ مَيْدَانٍ مِنْ مَيَادِينِ الْحَيَاةِ.

وَمِنْ هُنَا جَاءَ مَوْضُوعُ خُطْبَتِنَا الْيَوْمَ:
مُحَمَّدٌ ﷺ: زَوْجًا وَأَبًا، وَقَائِدًا دِينِيًّا، وَزَعِيمًا سِيَاسِيًّا، وَقَائِدًا عَسْكَرِيًّا، وَمَا تَحْمِلُ سِيرَتُهُ مِنْ
دُرُوسٍ لِلْإِنْسَانِيَّةِ.

وَلَعَلَّ أَعْظَمَ سُؤَالٍ نَطْرَحُهُ عَلَى أَنْفُسِنَا فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ هُوَ:
كَيْفَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْقُلَ قِيمَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ كُتُبِ السَّيْرَةِ إِلَى بُيُوتِنَا، وَمُؤَسَّسَاتِنَا، وَمُجْتَمَعَاتِنَا،
وَقِيَادَاتِنَا، وَعَلَاَقَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ؟
فَإِذَا أَرَدْنَا أَسْرًا مُتَمَاسِكَةً، فَلْنَنْظُرْ إِلَى أَخْلَاقِهِ فِي بَيْتِهِ.
وَإِذَا أَرَدْنَا تَرْبِيَةً صَالِحَةً وَتَعْلِيمًا نَافِعًا، فَلْنَنْظُرْ إِلَى أُسْلُوبِهِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّربِيَةِ.
وَإِذَا أَرَدْنَا قِيَادَةً عَادِلَةً، فَلْنَنْظُرْ إِلَى عَدْلِهِ وَأَمَانَتِهِ.
وَإِذَا أَرَدْنَا مُجْتَمَعًا آمِنًا، فَلْنَنْظُرْ إِلَى حِرْصِهِ عَلَى السَّلَامِ وَالْعَهْدِ وَحُقُوقِ النَّاسِ.
وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَسْتَعْمِلَ الْقُوَّةَ فِي خِدْمَةِ الْحَقِّ، فَلْنَتَعَلَّمْ مِنْ أَخْلَاقِهِ فِي الْقِيَادَةِ وَالْحَرْبِ.
فَسِيرَةُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَتْ ذِكْرَى مَاضٍ، بَلْ هِيَ مَشْرُوعُ حَيَاةٍ، وَمِنْهَا جُودُ إِصْلَاحٍ، وَمَدْرَسَةٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ
فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.
اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْإِقْدَاءَ بِهِ، وَالْعَمَلَ بِسُنَّتِهِ، وَالتَّحَلُّقَ بِأَخْلَاقِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ سِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَتْ صَفَحَاتٍ تُقْرَأُ لِلذِّكْرِ فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ مِنْهَا جُودُ حَيَاةٍ مُتَكَامِلٌ،
جَمَعَ بَيْنَ الرَّحْمَةِ فِي الْبَيْتِ، وَالْحِكْمَةِ فِي الدَّعْوَةِ، وَالْعَدْلَ فِي الْحُكْمِ، وَالشَّجَاعَةَ الْمُنْضِبِيَّةَ فِي
مِيْدَانِ الْقِتَالِ. وَحَدِيثُنَا الْيَوْمَ عَنْ هَذِهِ الْأُبْعَادِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ حَيَاتِهِ ﷺ.

أَوَّلًا: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبُّ الْأُسْرَةِ

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَغَمَ جَلَالِ مَقَامِهِ، أَرْقَى النَّاسِ قَلْبًا فِي بَيْتِهِ، وَأَحْسَنَهُمْ خُلَفَاءَ مَعَ أَهْلِهِ. قَالَتْ
عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ». وَقَالَ ﷺ:
«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».
كَانَ زَوْجًا رَحِيمًا، يُدَاعِبُ أَهْلَهُ، وَيُشَاوِرُهُمْ، وَيُشَارِكُهُمْ فِي أَعْمَالِ الْبَيْتِ. وَكَانَ أَبًا حَثُوثًا، يَحْمِلُ
حَفِيدَتَهُ أَمَامَةً وَهُوَ يُصَلِّي، وَيَقْبَلُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ حَتَّى قَالَ لَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ
الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرَحَمُ».
فَالْأُسْرَةُ فِي مَنْهَجِهِ ﷺ أَسَاسُ الْمُجْتَمَعِ، وَالْبَيْتُ الصَّالِحُ مَدْرَسَةٌ لِلْأَخْلَاقِ، وَالْقَوَامَةُ فِيهِ مَسْئُولِيَّةٌ لَا
تَسْلُطُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعِشْرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

ثَانِيًا: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُرْشِدُ الدِّينِيُّ

بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَمُعَلِّمًا لِلْبَشَرِيَّةِ، يَهْدِيهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].
كَانَ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ رَفِيقًا لَا عَنِيْفًا، صَبُورًا عَلَى الْأَدَى، حَكِيمًا فِي مُخَاطَبَةِ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ.
عَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِالْقُدْوَةِ قَبْلَ الْقَوْلِ، وَرَبَّى جِيلًا حَمَلَ رِسَالَةَ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ إِلَى الْأَفَاقِ.

ثَالِثًا: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَائِدُ السِّيَاسِيُّ

بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَسَّسَ النَّبِيُّ ﷺ دَوْلَةً قَامَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَالتَّعَايُشِ، فَكَتَبَ «وَثِيقَةَ الْمَدِينَةِ» الَّتِي نَظَّمَتِ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَضَمِنَتْ حُرِّيَّةَ الْعَقِيدَةِ وَحَقَّ الْجَوَارِ. وَكَانَ ﷺ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي أَدَقِّ الْأُمُورِ وَأَعَمِّهَا، امْتِنَاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]. فَحُكْمُهُ ﷺ كَانَ قَائِمًا عَلَى الْعَدْلِ الْمُنْطَلِقِ، لَا يُحَايِي قَرِيبًا وَلَا يَظْلِمُ بَعِيدًا، حَتَّى قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

رَابِعًا: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَائِدُ الْعَسْكَرِيُّ

اضْطُرَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَرَاحِلَ مِنْ حَيَاتِهِ إِلَى الدِّفَاعِ عَنِ الدَّعْوَةِ وَحِمَايَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، فَكَانَ قَائِدًا حَازِمًا، لَكِنَّهُ التَّزَمَ بِأَخْلَاقِيَّاتٍ صَارِمَةٍ فِي الْقِتَالِ: لَا يُقْتَلُ شَيْخٌ وَلَا امْرَأَةٌ وَلَا طِفْلٌ، وَلَا تُقَطَّعُ شَجَرَةٌ إِلَّا لِضَرُورَةٍ، وَلَا يُغْدَرُ بِعَهْدٍ. وَفِي صَلَاحِ الْحُدُودِ، قَبْلَ ﷺ شُرُوطًا بَدَتْ لِأَصْحَابِهِ قَاسِيَةً، ابْتِارًا لِلِسُلْمِ عَلَى الْحَرْبِ. وَيَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَهُوَ فِي أَوْجِ الْقُوَّةِ وَالتَّمَكُّنِ، عَفَا عَنْ أَعْدَائِهِ قَائِلًا: «ادْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ». فَكَانَتْ قِيَادَتُهُ الْعَسْكَرِيَّةَ مُسْتَدَوْدَةً إِلَى غَايَةِ السَّلَامِ لَا إِلَى شَهْوَةِ الْقِتَالِ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ الدُّرُوسُ الْمُسْتَفَادَةُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. عِبَادَ اللَّهِ، فِي هَذِهِ السَّيْرَةِ دُرُوسٌ عَظِيمَةٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءُ:
الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْقِيَادَةَ الْحَقَّةَ تَبْدَأُ مِنَ الْبَيْتِ، فَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ رِعَايَةَ أَهْلِهِ لَا يُؤْتَمَنُ عَلَى رِعَايَةِ أُمَّةٍ.
الدَّرْسُ الثَّانِي: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْحَقِّ تَكُونُ بِالْحِكْمَةِ وَالرِّفْقِ، لَا بِالْإِكْرَاهِ وَالْعُنفِ.
الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: أَنَّ الْحُكْمَ الرَّشِيدَ يَقُومُ عَلَى الْعَدْلِ وَالشُّورَى وَاحْتِرَامِ التَّنَوُّعِ، لَا عَلَى الْإِسْتِبْدَادِ.
الدَّرْسُ الرَّابِعُ: أَنَّ الْقُوَّةَ الْعَسْكَرِيَّةَ، حِينَ تُسْتَعْمَلُ، يَجِبُ أَنْ تُنْضَبَطَ بِأَخْلَاقٍ تَحْمِي الْأَبْرِيَاءَ، وَأَنَّ الْعَفْوَ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ هُوَ ذِرْوَةُ سَنَامِ الْقِيَادَةِ.
فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ أَقْنَفَى أَثَرَهُ وَاهْتَدَى بِهِدْيِهِ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ.

La vie du Prophète ﷺ: chef de famille, guide religieux, leader politique et militaire

— Leçons pour l'humanité —

Dr KONE Moussa, Imam officiant à la mosquée Radjaha de la cité CNPS de Bouaké

Le 21-08-2026

Première sermon
Introduction

Louange à Allah, Seigneur des mondes, Celui qui a envoyé Son Messenger avec la guidée et la religion de vérité, qui l'a fait miséricorde pour les mondes et qui a placé dans sa vie et dans sa Sunna un modèle pour celui qui recherche la réussite et la bonne direction.

Nous Le louons, exalté soit-Il, nous implorons Son aide et nous Lui demandons pardon. Nous cherchons refuge auprès d'Allah contre le mal qui est en nous-mêmes et contre les mauvaises conséquences de nos actes. Celui qu'Allah guide, nul ne peut l'égarer, et celui qu'Il égare, nul ne peut le guider.

J'atteste qu'il n'y a de divinité digne d'adoration qu'Allah, Unique, sans associé, et j'atteste que notre maître et notre Prophète Muhammad est le serviteur d'Allah et Son Messenger, Son élu et Son bien-aimé. Allah l'a envoyé comme guide, annonciateur de bonnes nouvelles et avertisseur, comme celui qui appelle à Allah avec Sa permission et comme une lampe éclairante.

Ô Allah, prie, salue et bénis notre maître Muhammad, sa noble famille, ses honorables Compagnons et tous ceux qui les suivent avec excellence jusqu'au Jour du Jugement.

Cela dit, serviteurs d'Allah, je vous recommande, ainsi qu'à moi-même, la crainte révérencielle d'Allah. La piété est la provision du croyant, le fondement de toute réforme et le chemin du salut ici-bas et dans l'au-delà.

Ô musulmans,

À toutes les époques et dans toutes les sociétés, l'humanité recherche un modèle capable de réunir les valeurs et la compétence, la miséricorde et la fermeté, la justice et la force, la réussite dans la vie et la fidélité aux principes.

Parmi les plus grands modèles que l'histoire ait offerts à l'humanité figure celui de notre Prophète Muhammad ﷺ.

Muhammad ﷺ n'était pas seulement un Prophète chargé de transmettre le message d'Allah. Il était aussi un époux et un père, un éducateur et un enseignant, un guide religieux, un homme d'État, un dirigeant de société et un chef militaire qui savait unir la force et la morale, la fermeté et la miséricorde, la victoire et le pardon.

C'est pourquoi nous n'étudions pas sa biographie simplement pour connaître des événements du passé ou raconter des récits historiques. Nous l'étudions pour nous poser des questions essentielles : comment dirigeait-il sa maison ? Comment éduquait-il sa famille ? Comment enseignait-il à ses Compagnons ? Comment rendait-il la justice entre les gens ? Comment traitait-il ceux qui étaient en désaccord avec lui ? Comment dirigeait-il en temps de paix et en temps de guerre ? Comment se comportait-il lorsqu'il remportait une victoire et lorsqu'il traversait une épreuve ?

La grandeur de la personnalité du Prophète ﷺ ne réside donc pas seulement dans sa capacité à diriger. Elle réside aussi dans le fait qu'il a réuni en sa personne plusieurs dimensions de la vie et les a transformées en une école de morale, de justice, de responsabilité et de miséricorde.

Allah dit :

« Vous avez certes dans le Messenger d'Allah un excellent modèle pour celui qui espère en Allah et au Jour dernier et qui invoque beaucoup Allah. »

(Sourate Al-Aḥzāb, 33:21)

Ce verset ne nous invite pas seulement à aimer le Prophète ﷺ par nos paroles ; il nous invite à faire de lui un modèle dans l'adoration, la famille, l'éducation, le leadership, les relations humaines et dans tous les domaines de la vie.

C'est dans cette perspective que s'inscrit le thème de notre sermon aujourd'hui :

Muhammad ﷺ : époux et père, guide religieux, leader politique et chef militaire, et les enseignements de sa vie pour l'humanité.

La grande question que nous devons nous poser aujourd'hui est donc la suivante :

Comment pouvons-nous faire passer les valeurs de Muhammad ﷺ des livres de la biographie prophétique à nos familles, nos institutions, nos sociétés, nos responsabilités et nos relations quotidiennes ?

Si nous voulons des familles solides, regardons son comportement au sein de son foyer.

Si nous voulons une éducation saine et un enseignement utile, regardons sa manière d'enseigner et d'éduquer.

Si nous voulons un leadership juste, regardons sa justice et son honnêteté.

Si nous voulons une société sûre, regardons son attachement à la paix, au respect des engagements et aux droits des personnes.

Et si nous voulons utiliser la force au service du bien et de la vérité, inspirons-nous de son éthique dans le commandement et dans les situations de conflit.

La vie du Prophète ﷺ n'est donc pas seulement un souvenir du passé. Elle est un projet de vie, une méthode de réforme et une école pour l'humanité à toutes les époques et dans tous les lieux.

Ô Allah, accorde-nous l'amour de Ton Prophète Muhammad ﷺ, la capacité de prendre exemple sur lui, de suivre sa Sunna et de nous parer de ses nobles qualités

Ô serviteurs de Dieu, la biographie du Prophète ﷺ n'est pas de simples pages que l'on lit par nostalgie, mais un modèle de vie complet, qui a réuni la tendresse au foyer, la sagesse dans la prédication, la justice dans le gouvernement, et le courage discipliné sur le champ de bataille. Notre propos aujourd'hui portera sur ces quatre dimensions de sa vie ﷺ.

Premièrement : Le Prophète ﷺ, chef de famille

Le Messager de Dieu ﷺ, malgré la grandeur de sa position, était l'homme au cœur le plus tendre dans son foyer, et le meilleur en caractère envers les siens. Aïcha, qu'Allah l'agrée, disait : « Il s'occupait des tâches de sa maison, et lorsque l'heure de la prière arrivait, il sortait pour prier. » Et il a dit ﷺ : « Le meilleur d'entre vous est celui qui est le meilleur envers sa famille, et je suis le meilleur d'entre vous envers ma famille. »

Il était un époux miséricordieux, plaisantant avec les siens, les consultant, participant aux tâches du foyer. Il était un père affectueux : il portait sa petite-fille Oumâma pendant qu'il priait, et embrassait Hassan et Houssein au point qu'Al-Aqra' ibn Habis lui dit : « J'ai dix enfants et je n'en ai jamais embrassé un seul », ce à quoi le Prophète ﷺ répondit : « Celui qui ne fait pas preuve de miséricorde ne recevra pas de miséricorde. »

Ainsi, la famille dans son enseignement ﷺ est le fondement de la société, le foyer vertueux est une école de moralité, et l'autorité domestique y est une responsabilité et non une domination. Dieu, le Très-Haut, a dit : « Comportez-vous envers elles avec bienséance » (Coran, 4:19).

Deuxièmement : Le Prophète ﷺ, guide religieux

Le Prophète ﷺ fut envoyé comme une miséricorde pour l'univers, un éducateur pour l'humanité, la guidant des ténèbres vers la lumière. Dieu, le Très-Haut, a dit : « Nous ne t'avons envoyé qu'en miséricorde pour l'univers » (Coran, 21:107).

Dans sa prédication, il était ﷺ doux et non violent, patient face aux préjugés subis, sage dans sa manière de s'adresser aux gens selon leur niveau de compréhension. Il éduquait ses compagnons par l'exemple avant la parole, et forma une génération qui porta le message du monothéisme, de la justice et de la miséricorde jusqu'aux confins du monde.

Troisièmement : Le Prophète ﷺ, leader politique

Après l'émigration à Médine, le Prophète ﷺ fonda un État bâti sur la justice et la coexistence. Il rédigea la « Charte de Médine », qui organisa les relations entre les musulmans et les autres communautés, garantissant la liberté de croyance et le droit au bon voisinage. Il ﷺ consultait ses compagnons sur les affaires les plus minutieuses comme les plus générales, en application de la parole divine : « Consulte-les sur toute question » (Coran, 3:159).

Son gouvernement ﷺ reposait sur une justice absolue, sans favoritisme envers les proches ni injustice envers les étrangers, au point qu'il déclara : « Par Dieu, si Fatima, fille de Mouhammad, volait, je lui couperais la main. »

Quatrièmement : Le Prophète ﷺ, chef militaire

Le Prophète ﷺ fut contraint, à certaines périodes de sa vie, de défendre son message et de protéger les plus vulnérables. Il fut alors un chef ferme, mais qui s'astreignit à une éthique stricte du combat :

on ne tue ni vieillard, ni femme, ni enfant ; on ne coupe un arbre que par nécessité ; on ne trahit jamais un engagement.

Lors du traité d'al-Houdaybiya, il ﷺ accepta des conditions qui parurent sévères à ses compagnons, préférant la paix à la guerre. Et le jour de la conquête de La Mecque, alors qu'il était au sommet de sa puissance, il pardonna à ses ennemis en déclarant : « Allez, vous êtes libres. » Ainsi, sa direction militaire fut toujours orientée vers la finalité de la paix, et non vers le goût du combat.

Je dis ces paroles et je demande pardon à Dieu, pour moi et pour vous.

Second sermon

Les leçons pour l'humanité

Louange à Dieu, Seigneur des mondes, et que la bénédiction et la paix soient sur notre Prophète Mouhammad, sur sa famille et sur l'ensemble de ses compagnons.

Ô serviteurs de Dieu, sa biographie ﷺ recèle des leçons éternelles pour l'humanité tout entière :

Première leçon : le véritable leadership commence au foyer ; celui qui ne sait pas bien prendre soin de sa famille ne peut être digne de confiance pour prendre soin d'une nation.

Deuxième leçon : l'appel à la vérité se fait par la sagesse et la douceur, non par la contrainte et la violence.

Troisième leçon : un gouvernement juste repose sur l'équité, la concertation et le respect de la diversité, et non sur la tyrannie.

Quatrième leçon : la force militaire, lorsqu'elle est employée, doit être encadrée par une éthique protégeant les innocents ; et le pardon au moment de la victoire est le sommet du véritable leadership.

Ô Dieu, prie et accorde la paix à notre Prophète Mouhammad, et fais de nous ceux qui suivent sa trace et se guident par son enseignement. Ô Dieu, améliore la condition des musulmans en tout lieu, et unis leur parole autour de la vérité. Notre Seigneur, accorde-nous belle part ici-bas et belle part dans l'au-delà, et préserve-nous du châtimement du Feu.

Ô serviteurs de Dieu, en vérité Dieu ordonne la justice, la bienfaisance et l'assistance aux proches ; et Il interdit la turpitude, l'acte blâmable et l'oppression. Il vous exhorte afin que vous vous souveniez. Souvenez-vous donc de Dieu, le Grand, Il se souviendra de vous ; et accomplissez la prière.